تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

من قمّة البريكس إلى قمّة العشرين
ملامح نظام عالمي جديد متعدّد القطب

التقى كبار الرؤساء والقادة في القمة السنوية لمجموعة العشرين التي انعقدت في شهر ايلول في العاصمة الهندية نيودلهي. قبل ذلك انعقدت قمة مجموعة البريكس في آب في جوهانسبورغ في جنوب افريقيا. بين القمتين والمجموعتين بدأت تتكون وتظهر ملامح نظام اقليمي جديد متعدد القطب

استضافت مدينة جوهانسبرغ في جنوب افريقيا القمة الخامسة عشرة لمجموعة بريكس التي تضم كبرى الاقتصادات الناشئة (البرازيل، وروسيا، والهند، والصين)، والتي غاب عنها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وسط اهتمام دولي لافت بالتجمع الذي بات ينظر اليه كتجسيد لمساعي الكثير من القوى الدولية لبناء نظام عالمي جديد متعدد الاقطاب واكثر عدلا، وانهاء هيمنة الولايات المتحدة على قيادة العالم.

تسعى الصين وروسيا الى توسيع هذا التكتل الذي يمثل ربع الاقتصاد العالمي، خصوصا ان هنالك حاليا 23 دولة اعلنت انضمامها الى المجموعة، منها 8 دول عربية ابرزها الجزائر والسعودية والامارات ومصر، كما ان هنالك نحو 20 دولة اخرى ابدت رغبتها في الانضمام. الا ان التحدي الذي يواجهه التكتل بقدر ما هو ضخم، يعيقه بعض الاحيان تضارب المصالح والمنافسات الداخلية، اذ يضم بريكس الصين والهند، واقتصادات كبيرة وصغيرة، وتتنوع العلاقات مع الولايات المتحدة بين الصداقة والعداء.

وفيما يرى البعض ان الخلافات الطبيعية اساسا في العلاقات بين الدول لا تمنع او لا تشكل عائقا امام التعاون بخاصة في اطار خدمة رؤية او اهداف استراتيجية، لكن هذه الخلافات قادرة احيانا على ان تشكل عنصر اضطراب او عامل اعاقة امام التعاون والتنسيق في لحظة مرتبطة بها. يقول البعض الاخر: نحن امام دروس مستفادة من تجربة القطب الاوحد، وامام ارادة قوية لدخول تجربة جديدة، مثل بريكس تقودنا الى عالم جديد، متعدد القطب، ينحاز الى المصالح المجتمعية، ليس الى الايديولوجيات الكلاسيكية التي تنطلق من فكرة اليمين او اليسار، ومن ثم، فان انهيار جدار برلين قد يقودنا الى انهيار جدار القطب الاوحد.

بعد شهر على قمة البريكس انعقدت قمة العشرين في نيودلهي وجمعت قادة الدول الاقوى والاكثر تأثيرا في الحاضر والمستقبل، كانت حدثا بالغ الاهمية. اكدت على نحو قاطع ان العالم يجتاز مرحلة انتقالية على وقع التنافس الاقتصادي والتحديات الجيوسياسية. ويبدو الواقع الراهن للمجموعة غير قابل للعزل عن التوترات السياسية والعسكرية الدولية المستجدة، بدءا من عودة الكباش التجاري والاقتصادي بين الصين والولايات المتحدة، مرورا بالمواجهة الدائرة بين روسيا والغرب، وصولا الى انتعاش التوجهات القومية على حساب التوجهات الاممية، والتي من تجلياتها اختلاف الاستراتيجية الصناعية لكل من الاميركيين والاوروبيين.

هذه القمة اسفرت عن النتائج والملاحظات التالية:

1- صعود الهند على الخارطة الدولية كلاعب جديد ومحوري. شكل حدث استضافة قمة العشرين في نيودلهي انجازا في ذاته بالنسبة الى الهند، الساعية الى تصدير نسختها الخاصة الجديدة من عدم الانحياز، عبر توظيف صراعات القوى الكبرى القريبة والبعيدة، خصوصا الولايات المتحدة والصين، وكذلك الحرب الروسية - الاوكرانية، في مساعيها لاعلاء شأن مصالحها القومية، وخصوصا انها تعلم انه لا غنى للغرب عن وزنها الجيوسياسي والاقتصادي في استراتيجيته الرامية الى مواجهة الصين، من جهة، ومحورية دورها في الرؤى البديلة لاقامة نظام عالمي جديد، والتي تطرحها قوى كبرى مناهضة للغرب، على رأسها روسيا، من جهة ثانية.

كانت القمة اللحظة الكبرى في مسيرة ناريندرا مودي الذي يقود الهند منذ 2014 ويتطلع الى ولاية ثالثة. ادار مودي بحذر شديد موقف بلاده من الحرب الروسية في اوكرانيا. امتنع عن ادانة الحرب لكنه رسخ سياسة فتح النوافذ مع الغرب، وبذل جهدا بارزا في الفترة الماضية كي لا تتحول مجموعة بريكس منصة معادية له. تطالب الدول الخائفة من الصعود الصيني الهند بالتقدم للعب دور مارد اسيوي منافس للمارد الصيني، مستفيدة من ثقلها السكاني وقدراتها التكنولوجية. ويدير مودي بحصافة التعامل مع العروض والاغراءات.

2- غياب الرئيس الصيني شي جينبينغ عن القمة، علما انه كان واظب على المشاركة في اجتماعات المجموعة منذ توليه السلطة في 2012. قبل شهور تكاثر الكلام عن ان قمة نيودلهي توفر فرصة للقاء بين شي والرئيس جو بايدن، وهو لقاء يحتاجه عالم ما بعد الحرب الاوكرانية. هل غاب شي لان ظروف لقاء من هذا النوع ليست ناضجة، ام لان القمة تعقد على ارض الهند نفسها، وبين الهند والصين ذاكرة من الاشتباكات والخلافات الحدودية؟ ثمة من يعتقد ان غياب شي يرجع قبل ذلك الى شعوره ان الغرب اتخذ قرارا جديا بنقل التنافس الدولي المحموم الى الملعب الاسيوي نفسه، وينوي ضخ التكنولوجيا والاستثمارات في عروق الهند، ليكون الحلم الهندي منافسا شرسا للحلم الصيني. ثم ان دولا قريبة مثل

اليابان وكوريا الجنوبية تشارك بفاعلية في الانقلاب الهندي على الطموحات الصينية. في الاونة الاخيرة لم تتردد بكين في اتهام واشنطن باطلاق حرب باردة جديدة تضع فيها الصين في الخانة التي وضعت فيها سابقا الاتحاد السوفياتي.

3- غياب لاعب دولي مهم اسمه فلاديمير بوتين. بلاده غارقة في حرب طويلة نسفت الجسور التي كانت تربطها بالغرب. حرب لا يبدو قادرا على حسمها وليس في وارد التراجع عنها. غاب بوتين عن قمة تعقد في دولة كانت قريبة الى بلاده، واتكأت دائما على اسلحتها قبل ان تبدأ حديثا في تنويع الخيارات. صورة روسيا الوافدة من نيودلهي كانت صورة الدور المرشح للتراجع بفعل الاستنزاف في الحرب والقطيعة مع الغرب.

4- خطة اميركية لنسج توافقات اسيوية موجهة نحو احتواء الصعود الصيني. بدت هذه التفاهمات شبيهة رغم الفوارق بعملية

> **العالم من الاحادية الاميركية الى التعددية ومن ثنائية شرق غرب الى شمال جنوب**

تطويق روسيا عبر تحريك بيادق حلف الناتو قرب حدودها. ترمي سياسة جو بايدن بوضوح الى حرمان الصين من لقب مصنع العالم بالرهان على الهند ودول اسيوية اخرى. وليس من قبيل الصدفة ان فيتنام كانت محطة بايدن بعد الهند.

5- الدور السعودي المتنامي في الاقتصاد العالمي. السعودية هي الدولة العربية الوحيدة في مجموعة العشرين. ونجاح السعودية في السنوات الاخيرة في بناء نموذج تقدم وانفتاح ومسؤولية في اطار رؤية 2030 اهلها لبناء شراكات استراتيجية مع اللاعبين الكبار وبينهم اميركا والصين والهند. هذا الواقع نقل المشاركة السعودية في مجموعة العشرين الى موقع المبادرة.

6- الاعلان عن ممر اقتصادي عالمي جديد لمنافسة الصين، بعد توقيع زعماء الدول المشاركة في قمة العشرين اتفاقية لانشاء ممر اقتصادي بين الهند والشرق الاوسط واوروبا، بهدف تعزيز الترابط الاقتصادي وتطوير البنى التحتية وزيادة التبادل التجاري. وهكذا سيرى العالم نفسه امام برنامجين كبيرين الممر الاقتصادي مع ما يعنيه اقتصاديا وسياسيا، وبرنامج الحزام والطريق الصيني المعروف.

يمثل الممر الاقتصادي شراكة عالمية متعددة المرتكزات والمحاور للتواصل والربط بين الهند والشرق الاوسط واوروبا، وان المشروع يتكون من ممرين اقتصاديين: الاول شرقي ◄

القرم عام 2014، ثم الحرب في اوكرانيا عام 2022 التي تستمر فصولا، مرورا بتمزيق اعلان باريس عام 1991 الذي يحدد شروط سلام ما بعد الحرب الباردة.

كسرت روسيا القواعد، وهدف بوتين هو عالم متعدد القطب، ذلك ان روسيا اليوم (ثاني اكبر ترسانة نووية في العالم واكبر احتياطي من النفط والغاز، اضافة الى موقع جغرافي استراتيجي وسط كتلة اليابسة الاوراسية) تريد ان تفتح قناة اتصال للحليف الصيني على البحر المتوسط وتمنع اميركا في الوقت نفسه من التوسع والوصول الى الشرق. لذلك، فان روسيا هدف واضح لاميركا، وعدم حسم الحرب في اوكرانيا لصالح الغرب سيعني ان النظام الجيوسياسي قد تغير، والكثير من المتغيرات ستحدد شكل العالم الجديد. فقد نشهد شراكة اوراسيا الكبرى، وقد تصبح اوراسيا مركز الاقتصاد والسياسة والثقافة عالميا، وليس اوروبا كما كان الحال عليه خلال القرون الخمسة الماضية، ولا المحيط الاطلسي كما كان الحال على مدى الـ70 سنة الماضية.

اربعة احداث غيرت العالم بعد العام 2020، وهي: نتائج خروج الولايات المتحدة من افغانستان بالطريقة التي خرجت بها، والحرب الروسية في اوكرانيا، والتغير الملحوظ في سلوك الصين العسكري والاستراتيجي، وصعود تيارات اليمين المتطرف في اوروبا، بالتزامن مع تسلم اليمين المتطرف الحاكم في اسرائيل. المحصلة العامة لهذه المتغيرات ان العالم لن يبقى كما هو ولن يعود كما كان. وقد بدا التغيير في ثلاث قارات ومناطق:

صعود الهند على الخارطة الدولية كلاعب محوري ومؤثر

◄ يربط الهند بمنطقة الخليج العربي، والثاني شمالي يربط منطقة الخليج العربي باوروبا، وسيربط الممر المناطق الثلاث من خلال البنية التحتية المتطورة للاتصال، مما يعزز العلاقة الاقتصادية، ويمكن من وصول السلع والطاقة والبيانات للافراد والشركات. يتضمن مشروع الممر دمج خطوط عدد من السكك الحديدية واتصالات الموانئ، بداية من الهند ومرورا بالسعودية والخليج العربي واوروبا. وهكذا، فان مشروع الممرات الخضراء الذي سيربط بين الهند والشرق الاوسط واوروبا يعزز العلاقات الاقتصادية، ويرفع من كفاية وسهولة التبادل التجاري وتطوير سلاسل الامداد واللوجيستيات بين الدول التي سيمر بها الممر، كما سيسهم في تنشيط واستحداث انشطة اقتصادية جديدة على امتداد الممر، ودفع دوله نحو تعزيز نموها الاقتصادي.

نحن اذا امام مرحلة جديدة وفي بداية مسار يفضي الى تغيير النظام العالمي الراهن واعادة صياغة هذا النظام الاحادي القطب والانتقال الى عالم متعدد الاقطاب (الصين وروسيا ودول الجنوب العالمي). وبذلك يكون الرئيس بوتين قد قام بانهاء مرحلة كاملة تمتد بين معاهدة هلينسكي عام 1975 وحتى ضم شبه جزيرة

مدركة ان الدول الافريقية التزمت الحياد في الحرب الروسية ـ الاوكرانية، ونات بنفسها عن الصراع الدولي وحالة الاستقطاب، ورفضت الانخراط في حرب باردة جديدة بين الولايات المتحدة وروسيا.

3- من اهم سمات التحولات الجارية على المستوى الدولي والتي تؤسس لقيام نظام عالمي جديد، او ما يعرف بنظام ما بعد الحرب الباردة، او ما بعد انتهاء لحظة الاحادية الاميركية، كما وصفها الكاتب الاميركي شارلز كروثمر، نظام لم تستقر بعد قواعده وانماط علاقاته بشكل كلي، بروز مفهوم الجنوب العالمي. مفهوم ليس بجديد لكنه اخذ في الاستقرار في ادبيات العلاقات الدولية لوصف احد التحولات الرئيسية التي شهدها ويشهدها العالم، والتي تنعكس في انماط جديدة من التحالفات والتفاعلات. انتهت ثنائية شرق غرب التي طبعت الحرب الباردة والتي قامت على ثنائية قطبية استراتيجية عقائدية. صرنا نتحدث اليوم عن جنوب عالمي مقابل شمال عالمي، وهذا ليس بالطبع بالمفهوم الجغرافي، بل بالمفهوم التنموي والسياسي والاقتصادي الشامل. ويمكن القول ان مفهوم الجنوب العالمي يرث، بشكل كبير وليس كليا بالطبع، مفهوم عدم الانحياز.

الجنوب العالمي ينتمي الى مناطق ثلاث: اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية. تضم هذه دولا تعاني من انخفاض كبير في مستوى النمو، او ذات نمو منخفض جدا، يضعها في حالة من الازمات البنيوية المستمرة مع تداعيات خطيرة ومختلفة. وكذلك تضم دولا نامية بسرعات مختلفة، الى جانب بالطبع قوى صاعدة نجحت في توظيف امكاناتها المختلفة وتبني مكانتها، وبالتالي دورها على الصعيد الدولي، وقوى اخرى تعززت مكانتها وموقعها الكبيران والوازنان على المستوى الدولي، مثل الصين الشعبية والهند. تتسم مجمل هذه الدول بديموغرافيا كبيرة نسبيا وبخاصة على المستوى الشبابي. من جهة اخرى يضم الشمال العالمي الى جانب الدول الغربية، من حيث انتمائها الجغرافي، دولا اخرى من خارج الغرب الجغرافي مثل اليابان وكوريا

الجنوبية وسنغافورة واستراليا ونيوزيلندا. يلاحظ مثلا ان كثيرا من دول الجنوب العالمي بشكل خاص تصوت في الامم المتحدة خارج الاصطفافات او التحالفات التقليدية التي كانت قائمة. ومن ادل الامثلة على ذلك التصويت في ما يتعلق بالحرب الروسية ـ الاوكرانية، وفي الكثير من القضايا التي تندرج تحت العناوين التنموية المختلفة، وكذلك فيما يتعلق بالتحديات الجديدة والمتزايدة في المخاطر التي تحملها مثل قضايا البيئة والتصحر والجفاف والتلوث.

من الامثلة العملية على هذه التحولات، التحولات الحاصلة في العالم العربي من خلال صوغ علاقات ناشطة وفاعلة في الوقت ذاته

خطة اميركية لاحتواء الصعود الصيني عبر نسج توافقات اسيوية

مع القوى الدولية المختلفة التي تنتمي الى الشمال والى الجنوب. القوى الدولية مثل الولايات المتحدة الاميركية واوروبا الغربية وروسيا الاتحادية والصين الشعبية التي تتنافس مع بعضها بعضا في الاقليم الشرق اوسطي بدرجات مختلفة وفي قضايا مختلفة. ولكن لا يمنع ذلك الاطراف العربية المعنية من ان تكون لها علاقات متوازنة مع هذه القوى المختلفة والمتنافسة في الاقليم. انه عالم التعددية القطبية المعقدة الذي يستقر اليوم، والذي يقوم على المصالح الحية والحيوية، باختلافها وتكاملها.

صحيح ان الشرق الاوسط تاريخيا عرف بساحة نفوذ اميركية، الا ان ثمة تبدلات حصلت، خصوصا على مستوى العلاقة الاميركية ـ الخليجية. بالتاكيد لا يزال النفوذ الاميركي هو الطاغي في منطقة منابع النفط، لكن المياه لم تعد صافية كما في السابق. وهو ما يظهر من خلال الحرص السعودي على تنويع العلاقة الدولية مع خصوم اميركا، والمقصود هنا روسيا والصين.

لا شك انه من المبكر الحديث عن نفوذ روسي او صيني في شبه الجزيرة العربية، ذلك ان واشنطن لا تزال تمسك بالبنى التحتية العسكرية والامنية والاقتصادية في هذه المنطقة الحساسة من العالم، والاسطول الاميركي هو الذي يؤمن الممرات البحرية لتدفق النفط الى الاسواق العالمية. لكن مجرد فتح الابواب امام مجالات التعاون، والتي تصل في بعض الاحيان الى مجال التسلح، فهذا يعني كثيرا ويؤشر الى ان العالم بدا يدفن حقبة الاحادية الاميركية، ويستعد لحقبة عالمية جديدة سيكون لها ترتيباتها وقواعدها واثمانها.

مما لا شك فيه ان تحولا بدا يظهر على مستوى الخريطة العالمية له علاقة بالتحديات السياسية، والسعي لرسم حقبة جديدة. ففي العام 1991 انتهت حقبة الحرب الباردة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية. وثمة بوادر ومؤشرات الى احتمال بدء مرحلة جديدة وحقبة جديدة في العالم على انقاض مرحلة الحرب الباردة، انطلاقا من حرب اوكرانيا.